

الْوَحْدَةُ السَّابِعَةُ

بين العربية والقرآن	القراءة المكتفة
التصغير	القواعد (أ)
قصة الوحي	فهم المسموع (القسم الأول)
خصائص الرسالة المحمدية	فهم المسموع (القسم الثاني)
النسب	القواعد (ب)
صاحب الجنتين	القراءة الموسعة

بين العربية والقرآن

أليس القرآن كتاب هذا الدين؟ ثم أليست العربية لغة هذا الكتاب؟ هل عرف العالم إسلاماً بلا قرآن؟ وهل عرف العالم قراناً غير العربية؟ إن ارتباط كتاب سماويٍ مُنزل بلغة يعينها - كارتباط الإسلام باللغة العربية - أمر لم نعرفه لغير هذا الدين، ولغير تلك اللغة. وإذا كان غير القرآن من الكتب السماوية المقدسة قد حرف ثم ترجم إلى لغات كثيرة، ونقي عنده أصحابه كتاباً تعبدinya مقدساً، فإن القرآن قرآن بلفظه، ونصه لم يترجم، ولا يمكن أن يترجم. وإن ترجمت أفكاره ومعانيه، فهي لا تسمى قراناً، ولا يصح أن تكون - في الإسلام - كتاباً تعبدinya.

هكذا أوجد الإسلام ارتباطاً بينه وبين اللغة العربية. وكان من أثر هذا الارتباط المبارك، أن عادت على اللغة العربية جهود وثمرات، لم يبذلها أصحابها - يوم بذلوها - إلا خدمة لهذا الدين، - وليس هنا مجال الحديث عن اللغة العربية وارتباطها بالدين والقرآن -. ومن مفاخر اللسان العربي أنه لغة المعجزة الخالدة القرآن.

لقد شدَّ الإسلام أقواماً غيرَ عَربَ إلى اللغة العربية، ونشرَ اللغة العربية في بلاد لم يكن للعرب فيها سلطان. لقد خرَجَتُ العربية من جزيرة العرب مع الفتح الإسلامي، فإذا هي لغة أهل الشام والعراق وما وراءها، ومصر وما وراءها، وإذا هي تتعدى كونها لغة دين إلى كونها لغة شعوب ودول.

وما زال للإسلام أثره في نشر العربية وحفظها في البلاد غير العربية، وهو أثر يفوق آثار المراكز الثقافية، التي نراها اليوم منتشرة في بلاد العالم، لنشر لغات كالفرنسية، أو الإنجليزية. إن أصحاب هذه المراكز يُتفقونَ الملايين في سبيل الدعاية لمراكزهم وتقافتهم، ونشر لغتهم، على حين أنَّ الإسلام يجعل من أهل البلاد التي ينتشر فيها شعوباً راغبة في تعلم لغته. وما أكثر ما سمع أصواتاً ترتفع في تلك البلاد، مطالبة بإرسال المُدرسين العرب، لتعليم اللغة العربية، أو مطالبة بقبول أبنائها في مدارس البلاد العربية وجامعاتها؛ ليتعلّموا اللغة العربية!

لقد استهوى الإسلام أقواماً؛ فحبب إليهم لغته، بل لقد كان للإسلام فضل عظيم في ظهور عدٍ لا يُحصى من العلماء غير العرب، يبغوا في لغة العرب وعلومها من نحو وصرف وبلاعنة، وحسنينا سببوا علماً لهذه الطائفة من العلماء غير العرب، الذين بلغوا القيمة في علوم العربية، حتى أصبحوا مضرِب المثل.

كان للإسلام الفضل في نقل اللغة العربية، تلك النقلة الواسعة من لغة قوم إلى لغة أقوام، ومن لغة محدودة بحدود أصحابها إلى لغة دعوة، جاءت إلى البشر كافة، وكانت العربية بذلك لسان تلك الدعوة، ولغة تلك الرسالة، ومستواع ما صدر عن تلك الرسالة من فكر وحضارة.

(بتصرف من كتاب «نحو وعي لغوي» مازن المبارك)

قراءة موسعة

صاحب الجنَّتينِ

(١) أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَزَقَهُ أَبْنَيْنِ رَبِّاهُمَا، وَتَعَبَ فِي تَنْشِيَتِهِمَا إِلَى أَنْ أَصْبَحَا شَابَّيْنِ كَبِيرَيْنِ، وَمَعَ أَنَّ نَشَائِهِمَا وَاحِدَةٌ، فَإِنَّ طِبَاعَهُمَا كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَمُمْتَبَانِيَةً. لَقَدْ عَلِمَهُمَا الْأَبُ زِرَاعَةَ الْأَرْضِ، وَقَدْ أَجَادَا زِرَاعَتَهَا، وَإِنْتَاجَ التَّمَارِ الطَّيِّبَةِ، وَالْفَوَاكِهِ الْلَّذِيَّةِ مِنْهَا، وَمَا هِيَ إِلَّا سَنَوَاتٌ حَتَّى كَبَرَ الرَّجُلُ، وَأَحْسَسَ بِأَنَّ أَجَلَهُ سَيِّحِينُ عَمَّا قَرِيبٌ، فَجَمَعَ وَلَدِيهِ، وَنَصَّحَهُمَا بِالْاسْتِمْرَارِ فِي الْعَمَلِ، وَالنَّسَاءُ الصَّالِحةُ، وَالبُعْدُ عَنِ الْبَغْضَاءِ وَالْكَرَاهِيَّةِ.

(٢) ماتَ الْأَبُ، وَتَرَكَ لِوَلَدِيهِ الْأَرْضَيِّ وَالْأَمْوَالَ، وَأَخَذَ الْأَخُوْدُ الْأَوَّلَ نَصِيبَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالثَّرَوَةِ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَشَكَرَهُ عَلَى النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ، وَقَالَ: يَا رَبِّ.. إِنِّي لَنْ أَنْسَى عِبَادَكَ الْفُقَرَاءِ، وَلَنْ أَتَخَلَّ عَنِ الْمَسَاكِينِ وَالْجَاهِيَّنِ؛ إِنِّي فِي طَاعَتِكَ دَوْمًا يَارَبِّ... «سُبْحَانَكَ، أَرْجُو مَغْفِرَتَكَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَكَ الْحَمْدُ يَارَبِّ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ».

(٣) وَأَمَّا الْوَلَدُ الْآخَرُ، فَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ أَخِيهِ، فَإِنَّهُ مَا كَادَ يَأْخُذُ حَقَّهُ وَنَصِيبَهُ مِنَ الثَّرَوَةِ، حَتَّى اخْتَرَنَ النُّقُودَ فِي مَنْزِلِهِ، وَحَرَمَ مِنْهَا الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، فَكَانَ إِذَا رَأَى مِسْكِينًا أَعْمَضَ عَيْنِيهِ، حَتَّى لا تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِالْعَطْفِ عَلَيْهِ، وَإِذَا سَمِعَ بِنِداءِ مِنْ فَقِيرٍ، أَغْلَقَ أَذْنِيهِ، لِكِي لَا يَسْمَعَ كَلَامَهُ!! وَهَكُذا عَاشَ، وَكُلُّ هَمٍّ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى مَالِهِ وَيَزِيدَهُ، فَلَمْ يُخْرِجْ مِنْهُ زَكَاتَهُ كَمَا فَعَلَ أَخُوهُ.

(٤) لَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ كِلَّا الْأَخْوَيْنِ مَالًا، وَرَزَقَهُمَا مِنَ الْأَوْلَادِ وَالنِّعَمِ الْكَثِيرَ، وَلَكِنَّ الْأَخَوْنَانِ الَّذِي لَمْ يَشْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ قَامَ بِشَرَاءِ بَسَاتِينَ كَثِيرَةٍ، وَاعْتَنَى بِزِرَاعَتِهَا، وَأَحْسَنَ خَدْمَتِهَا، فَازْدَادَتْ ثَرَوَتُهُ وَأَمْوَالُهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْبَسَاتِينِ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَجْمَلِ الْجَنَّاتِ، فِيهِمَا الْعِنْبُ، وَتَحْوَطُهُمَا أَشْجَارُ النَّخِيلِ الْبَاسِقَةِ، وَتَجْرِي فِيهِمَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْيَنَابِيعِ الْعَدْبَةِ، وَيَحْمَلُنَ الْفَاكِهَةَ الْلَّذِيَّةَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، وَإِذَا مَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا النَّاظِرُ، حَسِبَهُمَا جَنَّتَيْنِ، لِشِدَّةِ جَمَالِهِمَا وَحُسْنِهِمَا، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنَ الشَّجَرِ، وَالثَّمَرِ وَالطُّيُورِ، وَالْمَاءِ وَالْيَنَابِيعِ.

(٥) لَمْ تَقِفِ النِّعَمُ عِنْدَ هَذَا الْحَدَّ، بَلْ رَزَقَهُ اللَّهُ أَوْلَادًا، سَاعَدُوهُ فِي جَلْبِ الرِّبْحِ وَالْمَالِ، فَأَصْبَحَ غَنِيًّا لَا مَثِيلَ لَهُ، وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ مِنْ أَحْدِيَهِ مَالًا وَوَلَدًا. وَهَذِهِ النِّعَمُ كُلُّهَا لَمْ تَكُنْ عِنْدَ الْأَخَوْنَانِ، الَّذِي اقْتَنَعَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْمَالِ، وَأَنْفَقَ الْكَثِيرَ مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْمُسْكِينِ، وَالْمُحْتَاجِ وَالْفَقِيرِ. وَقَدْ كَانَ مَعَ الْقَلِيلِ الَّذِي عِنْدَهُ، مُرْتَاحَ الضَّمِيرِ، عَفِيفَ النَّفْسِ، يَحْمُدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ، وَيَعْرُفُ حَقَّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ كُلَّمَا جَاءَتْهُ، فَلَا يَيْخُلُ، وَلَا يَكْفُرُ، وَلَا يَجْحَدُ، وَلَا يُنْكِرُ.

(٦) هذان هما الأخوان: الغني الذي كثرت ثروته، والفقير الذي اقتتنع بالقليل، دون طمع، ولا بخل. ولكن هل تدرؤن ماذا كان أثر عدم شكر الأخ الثاني للنعم والغنى؟ وبماذا قابل أخيه الفقير، عندما دخل عليه؟ حدث هذا ذات مرّة، ولما رأه استهراً به، وسخر منه، وقال: انظر إلى حالي، كيف أصبحت لا تملك مالاً، ولا ولداً. أمّا أنا، فإنّي أكثر منك مالاً، وأكثر أولاداً. تعال ادخل معي جنتي الجميلتين، وشاهد أملaki الكثيرة، تعال لكي ترى الكروم والفواكه، والأنهار والجمال، والخير الكثير. إنّ جنتي تزيدان ربحي وعطائي، وإنّي أعلم أنّ هذه النعم والخيرات كلّها ستُدوم، ولن يقطع الله عنّي كلّ هذا الرزق الوفير، ثم سكت قليلاً. وقال: وأمّا عن يوم القيمة الذي تخاف منه، فإني لا أطعن أنّ هناك يوماً كهذا اليوم. وإنّ اعتدت معك بوجود الحساب، فإن الله سيعطيك هناك، خيراً مما أعطاني في هذه الدنيا، لا تراه قد رزقني الآن..؟ فلابد أنّه يرزقني في الآخرة، إنّ كانت هناك آخرة كما ترّغم!! وإنّ استحقّ هذا. أليس كذلك؟.. وتابع ضاحكاً واستهزاءً.

(٧) نظر إلى الأخ المؤمن، وبكي شفقة عليه، وأحب أن يصحح اعتقاد أخيه الكافر، وأن يهديه إلى الإيمان، فقال له وهو يعظه: يا أخي، أكفرت بالله الذي خلقك ورزقك الجنة، والمال والأولاد؟ أكفرت بالله الذي خلقك في بطنه أمّك، وجعلك طفلاً، ثم شاباً قوياً؟ أيحرج الله عن خلقك مرّة ثانية، بعد أن يميتك وتُدفن في التراب؟ يا أخي.. أليس الخلق مرّة أخرى أهون من الأولى؟ وكله على الله هين.. لا تُريد أن تُزيل هذا الكفر عن عقلك؟ وهذا الشرك من قلبك؟

(٨) ثم إنّك يا أخي تشممت بي، وتفخر على بأن الله أعطاك مالاً وأولاداً أكثر مني. ولكن إن كنت فقيراً لا أملك مالاً، ولا ولداً، فإنّ نفسي غنية مؤمنة، لا تتعلق بالدنيا وزينتها، وأنا أعتقد يا أخي أنّ الدنيا زائلة، وأنّ المال لن يبقى، وأنّ الأولاد سيموتون مثلنا.. لا تعجب إن أزال الله هذه الأموال والجنان التي تملّكتها من الوجود، وجعل أنها جنّيّاً جافةً، وأشجارها يابسة، وليس هذا صعباً على الله، ولن يعجز عن ذلك أبداً.

(٩) يا أخي، لا تفكّر أن تقول إذا دخلت جنتيك: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله). إن كفرك لن يفعلك يا أخي، فارجع إلى الهدى، وامن بقدرة الله وأشكّر نعمه عليك، ولا تكفر بها، فهو قادر على أن يعاقبك في هذه الدنيا أمام عينيك.

(١٠) ولم يسمع الكافر كلام أخيه المؤمن.. بل ازداد كفراً وعنداداً، ولم يلتفت إلى تطهير قلبه وإزالة الكفر عن صدره. لقد نصّح له أخوه، ودلّه على الطريق الصحيح، لكنه لم يحاول أن يقتتنع ويفهم، وأن يؤمن بالله ويحمده ويشكّره. هل يتركه دون عقاب؟.. هل يرضي الله تعالى لعباده الكفر والشرك؟ وهل سيبقى الكافر يلهو ويرتع في الضلال؟